التقابل الحجاجي وتقنيات البلاغة الجديدة في الخطاب القرآني

الأستاذ الدكتور أشواق محمد إسماعيل النجار

المدرس المساعد أفين سعيد عبدالعزيز

قسم اللغة العربية / كلية التربية / جامعة صلاح الدين / أربيل

المستخلص

يحاول هذا البحث اقتراح رؤية جديدة لتفسير لغة الحجاج وكيفية استعمالها، وذلك عبر تسليط الضوء على العوامل المؤثِّرة في استراتيجيات الحجاج، والتقابل هو أحد التأثيرات التي تحيل على تحقيق التفاعل بين المرسل والمتلقي، ويعمل على إثراء النص وتكثيف الخطاب، فمن هنا يشكِّل التقابل مع الحجاج نظرية جديدة متعدِّدة الجوانب، يمكن توظيفها كوسيلة للتعليم، والإفهام، والإقناع، والتأثير. ويضم هذا البحث الموسوم بـ (التقابل الحجاجي وتقنيات البلاغة الجديدة في الخطاب القرآني) محورين، خصص المحور الأول لدراسة التقابل في قوة اللغة بين الإنجاز والحجاج.

كلمات مفتاحية: التقابل، الحجاج، التقنيات، البلاغة، الخطاب القرآني

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/٠٧/١٦ **تاريخ القبول:** ٢٠٢٣/٠٨/١٥

Contrast Argumentative and New Techniques of Rhetoric in Quranic Discourse

Professor Dr. Ashwaq Mohammed Ismaiel Alnajjar
Assist. Instructor: Avin Saeed Abdulazeez
Department of Arabic Language / College of Education / Sahaddin University / Erbil

Abstract

This research tries to propose a new vision to interpret the language of argumentation (Hujaj) and how to use it, by highlighting the factors affecting the strategies of argumentation, and the correspondence is one of the effects that refer to the achievement of interaction between the sender and the receiver, and works to enrich the text and intensify the discourse, from here the interview with Hujaj is a new multifaceted theory, which can be employed as a means of education, understanding, persuasion, and influence. This research tagged with (Contrast Argumentative and new techniques of rhetoric in Quranic discourse) includes two axes, the first axis is devoted to the study of the correspondence in the power of language between achievement and argumentation.

Keywords: contrast, arguments, techniques, rhetoric, Quranic discourse.

Received: 16/07/2023 **Accepted: 15/08/2023**

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيِّد المرسلين محمد (ﷺ) وعلى آله وأصحابه الطاهرين، أمَّا بعد:

فلمَّا كانت اللغة فلسفة تشكل مرجعية معرفية، وتمثِّل القوة المرتكزة التي يقوم عليها الذهن، والأسلوب هو انعكاس الكلام للغة، إذن اللغة نظام من العلامات المتقابلة، ورموز ترسم طريق الفكر إلى التحليل والتركيب والتصوير والتجريد، أمَّا الحجاج فيستكشف داخل النص العناصر اللغوية المنظمة المنسقة التي تآلفت تراكيب مميزة تحمل التأثير والإقناع. ويقف التقابل الحجاجي على حقيقة الفرق بين الحجاج والحجاج المضاد، ويمثِّل الوجهة النظامية من العملية التواصليَّة. فالتقابل أطروحة تُحدث التناغم في الخطاب، بموجب تحرُّك آلياته وجهًا لوجه، والحجاج استدلال يعكس اللغات الطبيعية التي لا تستدعي التكلُّف، ويستنتج من التقاء الملمحين (التقابل والحجاج) تقريب الإيحاءات البعيدة للمتلقي، وتعميق التصوير الموحي للواقع.

وركَّز البحث على محورين اثنين، ونتائج تليها المصادر والمراجع، المحور الأول بعنوان (التقابل في قوة اللغة بين الإنجاز والحجاج) فيه حديث عن تقابل إنجازين هما: إنجاز فعل قولي، وإنجاز فعل مضمَّن في القول من جهة. وتقابل حجج موزَّعة؛ لإبراز الحجاج المتساند، والمضاد من جهة ثانية. وتوجَّهت عناية المحور الثاني إلى إبراز (التقابل في قوة الإقناع بين الانتقال والحجاج)، بعدِّ الصور البلاغية تقنيات حجاجية في التراكيب الحجاجية، وثيمات سيميائية، أو آليات تحوِّل الأفعال من حالة إلى حالة أخرى، إلى أنْ تظهر حقيقة استنتاج كل فعل مقصود في الاستعمالات البلاغية.

أولا: التقابل في قوة اللغة بين الإنجاز والحجاج

قوة اللغة في جوهرها تحمل التقابل في معناه الواسع، فتعرض على "الذهن شريطًا للمعاني الممكن فهمها بسرعة وبوتائر بطيئة، فيتحقق تمثُّل العناصر، والمعاني، والعلاقات تمثُّلا واضحًا كافيًا"[١]. وفيما يأتي عرض مفصَّل؛ لاستعمال التقابل في قوة اللغة:

١. التقابل في الفعل اللغوي والقوة الإنجازية

أشار سيرل **(Searle)** إلى أنَّ المرسل حين يصدر نفخة صوتية فإنَّه ينجز فعلا كلاميًّا، وتأتي أفعال الكلام في مجموعة متباينة من المقاصد، ويضع المرسل مع هذه النفخات الصوتية، عبارة، أو يطرح سؤالا، أو يصدر أمرًا، أو يثير طلبًا، وكل هذه الأفعال سمَّاها أوستن **(Austin)** بالأفعال المتضمِّنة في القول (**illocutionary act)**، وهي أدنى وحدة كاملة للتواصل اللغوي[٢]. ويشكِّل الفعل الكلامي نواة عديد من الإجراءات التداولية، لذلك يرى سيرل **(Searle)** أنَّ كلَّ فعل كلامي ينهض على نظام إخباري، وإنجازي، وتأثيري؛ لتحقيق مقاصد، وغايات تأثيرية تخصُّ ردود فعل المتلقي[٣].

ويقصد بفعل الإنجاز أنَّ المرسل حين يتلفَّظ بقول ما فهو ينجز معنى قصديًّا، أو تأثيرًا مقصودًا وهذا الإنجاز يمثِّل قوة الفعل، على سبيل المثال حين يقال لمن يدخل في الغرفة: (تركتَ الباب مفتوحًا)، يخضع هذا القول إلى جملة خطوات؛ لإدراك الفعل المقصود إنجازه، منها: أنَّ الضجيج في الرُّوَاق، ولا ينبغي ترك الباب مفتوحًا، فالقائل إذن، يأمر بإغلاق الباب، أو المكتب مكيّف، ولا ينبغي ترك الباب مفتوحًا، فهو يطلب إذن إغلاق الباب، أو هو يقصد من الأدب أنْ تُغلق الباب كما وجدته مغلقًا حال دخولك، في هذه الحالة القائل يعاتب(٤)، وهكذا، فالفعل الإنجازي جزء من البنية الدلالية للأقوال، يتفاوت بتفاوت ملابسات استعماله، ويشمل الإنجاز الصريح الذي يستدل عليه المعنى الحرفي للقول، والإنجاز الأولي (غير الصريح) الذي يفهم من السياق، وكلَّما وجدت علاقة مباشرة بين القرائن البنيوية، والوظائف التواصلية العامة (سؤال، جملة خبرية، طلبية/أمر) تم رصد أفعال كلامية مباشرة(٥).

والغرض من الفعل الإنجازي (المتضمن في القول) شريحة من القوة الإنجازية، تشكِّل معنى إضافيًّا يدرك مقاليًّا ولفظيًّا، أو قوة مستلزمة غائية تدرك مقاميًّا(٦). وفي الخطاب القرآني المبارك الفعل الحجاجي فعل كليٌّ تشترك في تشكيله الأفعال التي تختلف قواها الإنجازية؛ ليغيّر واقع المتلقي من الضلال المعتم إلى الهداية المضيئة. وتؤكد آلية التقابل أنَّ الفعل الحجاجي المركَّب من مقدمة ونتيجة، لا يكتفي ببنيتها الداخلية، الدالَّة على الإثبات والإبطال فحسب، بل تندمج معها خاصيات براغماتية، وأغراض إنشائية(٧).

وعندما يعود البحث إلى تأكيد الصلة بين الفعل اللغوي والتقابل، فإنَّه يكشف التقابل بين (فعل الإيجاب، وفعل السلب)، إذ تتباين درجة اقتضاء الفعلين وآثارهما سياقيًّا في آيات التقابل الحجاجي، وتتوزع هذه الدرجة على نسقين: الأول (إيجاب) فيه دعوة ونداء آكد يُشعِر بمجازاة فاعله، أمَّا الثاني فهو (سلب) فيه نداء يُشعِر باقتصاص فاعله. وسيعمل البحث على تجلية آثار الفعلين في الخطاب القرآني، ومن أمثلة هذا النحو، قوله (ﷻ): ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾، (الآية ١١ من سورة المجادلة). تنهض وحدة التقابل الحجاجي في هذه الآية الكريمة على التقابل بين فعلين توجيهيين إنجازيين تربطهما علاقة التوافق: (**تَفَسَّحُوا ⇔ فَافْسَحُوا**)، و(**انْشُزُوا ⇔ فَانْشُزُوا**). ويروم هذا التقابل إبراز المفارقة؛ لغاية (الأمر الإيجابي) الذي هو خطاب يستجلب به الآمر الفعل بالقول؛ ليكون الأثر المترتَّب عليه إمَّا الفعل وإمَّا الترك، وعليه، فيكون إنجازه تقابلا بين مجازاة فاعل الواجب، أو معاقبة تاركه(٨). ومثَّلت صيغة الأمر الإيجابي في الآية الكريمة فعلا إنجازيًّا أوليًّا، والتقابل فيه محقَّق بين المعنى القولي للأمر (الوجوب)، والمعنى الغرضي (النصح والإرشاد) المتعلق بآداب المجلس. والاستجابة لهذين الأمرين الموجبين، أي: إنجازهما يتمثَّل في التقابل الإيجابي بين النتيجتين: (**يَفْسَحِ اللَّهُ× يَرْفَعِ اللَّهُ**)، أي: الامتثال لأمر (التفسُّح)،

وإنجازه موعود بالجزاء: ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾، أي: يوسع (♌) لهم في الدنيا باتساع الرزق، واتساع القبر في البرزخ، واتساع غرفات الجنة في دار الآخرة. وفي المقابل إنجاز (النشوز)، والالتزام بأمر الانفضاض في المجلس أو القيام منه، والعمل بمقتضاه؛ لفعل خير واجب، قال (♍) في ثواب فاعله: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، أي: تفضيل الله (♌) للمؤمنين، والعالمين خاصة[٩].

ومن أمثلة التقابل الحجاجي في الفعل اللغوي وقوته الإنجازية على مستوى خطابين في سورتين مختلفتين، قوله (♌): ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ٣٤ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾، (الآيتان ٣٤، ٣٥ من سورة يونس). وقوله (♐): ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، (الآية ١٧ من سورة النحل). يلحظ، بموجب العناصر المتقابلة المشكِّلة للأفعال الإنجازية في الخطابين، الفرق الدقيق بين متعلقات الفعل التداولي وآثاره، وبين كون الفعل استفهامًا عاديًّا. ولا شك في وجود تبادلات حجاجية "بين الشحنة القصدية [+] و[-]"[١٠]؛ للاستفهامات الحجاجية الواردة في الخطابين، فالاستفهام فعل توجيهي يحمل طاقة كامنة تساعد على تحقيق الفعل، وتمدُّ المرسل بقوة تداولية تخلق التأثير في كلامه، ممَّا يجعل الفعل الكلامي على درجات متفاوتة من القوة الإنجازية[١١]. ويمكن تصنيف الاستفهام الحجاجي التوجيهي ضمن الأفعال التي تحمل التقابل بين (فعل السؤال، وفعل الإقناع)، فإذا حمل (فعل السؤال) شحنة سالبة أو موجبة، فإنَّ فعل الإقناع يحمل شحنة متضادة له، ويمكن توضيح هذا الاستنتاج الذي توصَّل إليه البحث في المخطط الآتي على مستوى الخطابين السابقين:

المخطط رقم (١) التقابل الحجاجي بين (فعل السؤال وفعل الإقناع)

(فعل السؤال)	(فعل الإقناع)
(-) ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾	﴿قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (+)
(-) ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾	﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ (+)
(+) ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾	﴿أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (-)
(+) ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ﴾	﴿كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (-)

ولا ننسى بأنَّ طبيعة العلاقة الحجاجية بين الشحنات المتقابلة تقتضي الانتقال من المعنى المباشر للاستفهام، إلى المعنى غير المباشر يمثِّل المعنى الاستلزامي[١٢] تقتضيه طبيعة العلاقة بين (فعل السؤال× فعل الإقناع) من جهة والمقام من جهة ثانية. أي: ينتقل الغرض الاستفهامي من (المعنى التقريري) في قوله (♐): ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، و﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾، أو من (نفي المساواة) في قوله (♍): ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي﴾، و﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾، إلى المعنى

غير المباشر في الخطابين، وهو قوة إنجازية مثلّت الاستفهام الإنكاري الدال إمَّا على إنكار الواقع في قوله (ﷺ): ﴿**فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾، أي: إنكار واقعهم بسبب لجاجتهم في الانصراف عن الحق، والاستمرار في الجهالة. وإمَّا قوة إنجازية دالَّة على التوبيخ في ثلاث درجات متلاحقة، الدرجة الأولى في الخطاب الأول يمثلها قوله (ﷺ): ﴿**فَمَا لَكُمْ**﴾، تقريع لهم بسبب حالهم الرجراجة والشاكة[١٣]، ومن ثم أردفته درجة ثانية من التوبيخ: ﴿**كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ توبيخ يوازي اضطراب فكرهم، واعوجاج تقديرهم. وجاء التوبيخ الثالث في الخطاب الثاني: ﴿**أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾، أي: أنَّ الأمر يحتاج التذكُّر فحسب؛ ليتجلَّى اليقين لكم بأنَّ المنفرد بالخلق أحق بالعبادة[١٤].

٢. التقابل في الحجاج والقوة الحجاجية

تناول أبو بكر العزاوي مصطلح الحجاج والقوة الحجاجية؛ ليبيّن بوساطتهما مظاهر سلطة الخطاب، وأشار في حديثه عنه، أنَّ الذي يبدل عنصرًا دلاليًّا ويمنحها طبيعة حجاجية هو السياق[١٥]، إذن، فالسياق يكوّن حجة لغوية، والحجة تكوّن نتيجة، والتركيب الحجاجي المؤلَّف من الحجة والنتيجة يكوّن سلَّمية يأتي فيها ترتيب الحجج من نقطة الانطلاق إلى نقطة العبور ومن ثم النتيجة، "والمعنى الحجاجي هو الذي يعتمد في تسلسل الخطاب وتناميه، وهو الذي يحكم توالي الأقوال وتتابعها، بصورة استنتاجية"[١٦]. ويهمنا هنا استنباط نوعية الحجج التي ساقها الخطاب الكريم في تركيب حجاج سالب، وحجاج موجب؛ لتتضح مراتب الحجج ودرجاتها في سلَّم التركيبين، بناء على وجهتَيْها (الموجبة، أو السالبة)، وقوتهما الحجاجية؛ ليتحقق الإقناع، ويكون الخطاب أشد فاعلية، بوساطة حجج مساندة، وأخرى معاندة. ومن أمثلة هذا التقابل الحجاجي في الخطاب القرآني، قوله (ﷺ): ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ٢٦٤ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾، (الآيتان ٢٦٤، ٢٦٥ من سورة البقرة). تكمن قوة بناء هذا التقابل الحجاجي في إبراز المقارنة بين تركيب الحجاج السالب والحجاج الموجب، بوساطة (حجاجية التمثيل) التي تتجلَّى قوته الإقناعية في "طرقه الإدراك والقوى الذهنية، واتكائه على القياس"[١٧] من جهة، وبموجب قوة الحجج الموزَّعة في السلَّمين. وجاءت (حجاجية التمثيل) في الآيتين على نمطين: الأول قائم على التشبيه السالب بين ركنيه: (المشبه: الصدقة المقترنة بالمن، والمشبه به: صدقة المرائي)، وهو تشبيه ورد في (التقابل المنطلق/ المقدمة الكبرى)، قائم على علاقة التوافق بين طرفيه؛ لأنَّ هناك تآلفًا بين عمل المنفق بالمن، وعمل المنفق بالمراءاة، والعملان متوافقان في نقطة الإبطال. والنمط الثاني من حجاجية التمثيل: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ**﴾، يلحظ فيه التشبيه الموجب بين

ركنيه: (المشبه: الصدقة التي تلتمس رضا الله والنفس تنشرح لها، والمشبه به: كمثل جنة بربوة)، فهناك توافق بين طرفي التشبيه الموجب (الإنفاق لوجه الله ⇔ جنة كثيرة الأشجار).

وترتبط علاقة تقابل تضادي بين الحجج القوية في النمط السالب والموجب على شكل ثنائيات تقابلية (**يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** × **يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ**)، و(**كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ** × **كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ**)، ثم يمضي التعبير القرآني؛ ليعرض تفاصيل وجه الشبه بين ركني التشبيه في حجاجية التمثيل السالب والموجب، وهذه التفاصيل تحمل "التدرُّج بالشيء من درجته الأقل إلى درجة التساوي بينهما"[١٨]، أي: التدرُّج في تجسيد وجه الشبه بين الإنفاقين السلبيين في النمط الأول، والإنفاق الموجب في النمط الثاني جاء في (التقابل الجسري/ المقدمة الصغرى) بموجب الرابط (الفاء) التعليلية؛ لبيان وجه الإبطال والتثبيت بالتدرُّج كالآتي: الدرجة الأولى تحمل التوافق بين النمطين في (**فَأَصَابَهُ وَابِلٌ**⇔ **أَصَابَهَا وَابِلٌ**)، أي: المطر الغزير أصاب الحجر وأصاب الجنة، وحملت الدرجة الثانية من التقابل نتيجة هذا المطر في النمطين (**فَتَرَكَهُ صَلْدًا**× **فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ**)، تقابل بين ما يمحوه المطر على وجه الحجر من التراب، فيجعله أرضًا غير صالحة للإنبات، وبين الأرض الخصبة التي تؤتي ثمارها ضعفين، أمَّا الدرجة الثالثة من الحجج القوية فقد جاءت؛ لتبيّن تقابلا آخر بين (**لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا**× **فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ**)، أي: التقابل بين عجز المنفق؛ لمنع القحط، وفي تركيب الحجاج الموجب حتى المطر القليل يكفي الأرض الطيبة؛ للإخصاب، في الأخير تتقابل نتيجة التركيبين أي: نتيجة (الإخصاب وعدمه)، هي: (**وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** × **وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**). وفي ذلك علاقة تقابل تضادي في التركيبين، من حجاجية التمثيل، بين ثنائية (الإقحاط × والإخصاب).

يلحظ في حجاج القوة استراتيجية التعبير المعلن المباشر؛ لحمل المتلقي على تأدية سلوك معيَّن. وتنبني خطة الإقناع في هذا الحجاج على القوة والوعيد، قصد التعديل بوساطة مقدَّمات تترتب عنها نتائج ملزمة، أو أفعال أمرية تفضي إلى الترهيب والتحذير[١٩]، وفيما يأتي يستعرض البحث آيات كريمة في سورتين مغايرتين يروم في عرضهما تبيان القوة الحجاجية بمقتضى آلية التقابل في عيّنات التقابل الإيجابي. الشاهد الأول قوله (♍): ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ١٠٢وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾، (الآيتان ١٠٢، ١٠٣ من سورة آل عمران)، والشاهد الثاني قوله (♍): ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ٢٥ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾، (الآيتان ٢٥، ٢٦ من سورة الأنفال).

والتعبير القرآني في الآيات الكريمة يومئ إلى تعليل (حجة المنطلق/ المقدمة الكبرى) في الخطابين: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾، و﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾، حجج مبنية على صيغة الأمر والنهي؛ لتجسيد ركيزتين تقوم عليهما بنية الحياة والمنهج الإسلامي، هما: (ركيزة الإيمان/ والتقوى). ومن ثم ينتقل الخطابان إلى عرض النعم والدعوات في (حجة العبور/ التقابل الجسري) وهي حجج قوية تمثل القاعدة الثانية من قواعد الحياة، والدين بين الاعتصام بحبل الله (♍)، والشكر على نعمه بعد الضعف، والقلَّة، والخوف[٢٠]. ويمكن توضيح هذا الحجاج القوي بين ثنائيات تقابلية في الترسيمة الآتية على مستوى الخطابين:

المخطط رقم (٢) التقابل في (الحجاج والقوة الحجاجية)

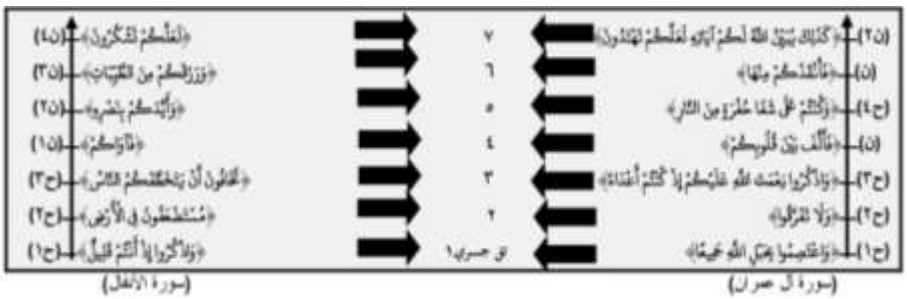

وشكَّلت هذه الحجج المذكورة حجاجًا قويًّا؛ للحذر من التشتُّت والتفرقة من جهة، والحذر من العدو الخفي (النفس وأهواؤها) من جهة ثانية؛ وصولا إلى الهدف، وهو تبديل بنية المسلمين إلى بنية قوية، متينة وراسخة[٢١].

٣. التقابل في قوة الكلام وقوة الكلمات

يرتبط التقابل الحجاجي أساسًا بما تستدعيه أساليب إنجاز الفعل الكلامي، ويجري هذا اللون من التقابل بين كلمات ذات طبيعة حجاجية، إذا وُظِّفت في وضعية حجاجية وتداولية؛ ذلك أنَّ الكلمات تستدعي وظيفتها الإقناعية على وفق المقام[٢٢]، و"بوساطة الحلية اللغوية"[٢٣]. وقد بيَّن صولة (ت٢٠٠٩م) خصائص الكلمة القرآنية وحركيتها الحجاجية قائلا: "إنَّ للكلمة خصائص في ذاتها تستمدها من اللغة ومن التداول تجعلها مؤهلة بطبيعتها؛ لتكون ذات صبغة حجاجية"[٢٤]، أي: قد يشحن المرسل الكلمة شحنة إقناعية عاطفية، تكون ترهيبية أو ترغيبية، فتتحوَّل الكلمة عندئذ إلى إشارة حجاجية؛ لتثير في الذهن إشارات أخرى، وتستورد إلى داخلها صورًا لا يمكن حصرها، فتثير في المتلقي شعور الرغبة أو الرهبة؛ تمهيدًا لحمله على إتيان عمل ما أو سلوك، وتأتي في السياق الحجاجي؛ لدفع المتلقي إلى تغيير موقف ما، أو تبنيه[٢٥]. وأشار – صولة - في موضع آخر إلى أنَّ تعريف الكلمة تعريفًا حجاجيًّا يقتضي أنْ لا يُهمل أثرها في الإقناع، وفي حمل متلقِّي القرآن الكريم على الإذعان للأطروحات المعروضة في الخطاب المبارك؛ لأنَّ هذه الوحدة المعجمية تكتسب سمات إضافية متأتيَّة من الاستعمال والتداول، وبموجب علاقتها بنوع المقال الذي يرد فيه – الخطاب القرآني - هل

هو مقال موجب أم سالب؟ وبناء على المقام الذي يستعمل فيه[٢٦] هل هو مقام ترغيب وترهيب؟، أو تشكيك وإنكار، أو تحسُّر وتعاطف... هلمَّ جرّا.

ويكفي للاستشهاد بقوة الكلمات تأمُّل الآيات الكريمة التي وردت في قوله (ﷺ): ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ**﴾، (الآية ١٥ من سورة محمد). يلحظ في الآية الكريمة أنَّ وحدة التقابل الحجاجي بنيت على حجة المقارنة التي تقدَّر فيها الصور الحسيَّة بين النعيم المقيم، والعذاب الأليم. وبموجب هذه الموازنة يتراءى كذلك تنظيم الكلمات على محوري (الكلام الموجب فيه كلمات متأنِّقة وعذبة× والكلام السالب فيه كلمات خشنة)، في النتيجة لا تتساوى "صنوف المتاع والآلام"[٢٧]. يرسم المحور الأول بوساطة كلمات موجبة تعدُّ حججًا دالَّة على ألوان من النعيم ضمَّنت المتاع بالجنات؛ للنفوس الطيّبة التقيَّة، وجاءت هذه الألوان موزَّعة على درجات، الأولى: (**الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ**)، والثانية: (**أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ**)، والثالثة: (**وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ**)، والرابعة: (**وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ**)، والخامسة: (**وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى**)، والسادسة: (**وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ**)، والسابعة هي الأقوى: (**وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ**). وفي مقابل هذه الألوان جاء وصف سلبي مختزل؛ لجزاء النفوس السيئة. وجاءت الكلمات في الوصف السالب مقتضبة، وجمعت بين متاع غليظ، وأكل غليظ، وماء سخين، وتقطيع الأمعاء؛ لتعبّر عن صورة حسيَّة غليظة موازية؛ لغلظة طبيعة القوم الكافر[٢٨].

وكثيرًا ما يعمد التعبير القرآني إلى إحداث تقابل بين التشبيهات التي تستوعب كلمات قوية (موجبة وسالبة)، ومن أمثلة ذلك ما ورد في خطابين على مستوى سورتين مختلفتين، في المثال الأول، قال (ﷺ): ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**﴾، (الآية ٤ من سورة الصف)، وفي المثال الثاني قال (ﷺ): ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾، (الآية ٤ من سورة المنافقين). بنيت وحدة التقابل الحجاجي في الآيتين الكريمتين على حجة السببية، ويقف البحث بالتحديد عند تدبير ما يحتويه التشبيه (الموجب والسالب): (**كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ× كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ**)، ويحتوي التشبيهان أبعادًا نفسية متقابلة بوساطة الكلمات التي تبعث الانشراح والانبساط النفسي في قلوب المؤمنين المجاهدين في سبيل الله (ﷺ)، في مقابل كلمات تثير الشعور بالنفور من المنافقين المتصفين بالتناقضات. ويمكن القول: إنَّ التعبير القرآني في التشبيه الموجب لم يقتصر على كلمة (**بُنْيَانٌ**) فحسب، وإنَّما قال: (**كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**)؛ ليصوّر ارتباطات الأفراد في الجماعة شعوريًّا وحركيًّا، ففي البنيان المرصوص تتآزر كلُّ لبنة؛ لسد الثغرات؛ ذلك أنَّ التوازن سيختل إذا تحركت لبنة من مكانها[٢٩]، وهذا حال المؤمن التقي الذي بني فيه الإيمان درجة فوق درجة. وفي المقابل لم يكتف التعبير القرآني في وصف باطن المنافقين بالقول: (**كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ**) فحسب، بل قال:

(كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ)، أي: الخشب التي لا نبض ولا حيوية فيها، ملطوعة في جانب ما، وهكذا همُ المنافقون تجد في مظهرهم وحديثهم حُسنًا، لكنَّ الباطن "كالخشبة الجوفاء التي نخرها السُّوس"[٣٠].

ثانيًا: التقابل في قوة الإقناع بين الانتقال والحجاج

تقابل قائم على التبادل بين السمات التصويرية؛ حتى تتواجه الحجج؛ للإقناع. وقد أثبت الدكتور (محمد بازي) أنَّ الفنون البلاغية تستند إلى ملمح التقابل، فهو الآلية المضمرة الراسخة الحاضرة في كثير من الفنون والأساليب البلاغية، ولكنْ غير مصرَّح بها[٣١]. وينشطر هذا المبحث إلى خمسة فنون بلاغية اعتمدها التقابل الحجاجي؛ لاستدراج الحجج، وهي فنون متعادلة في التصوير الإقناعي، لكنها ذات دلالات متفاوتة أو متدرِّجة كالآتي:

١. التقابل الحجاجي الالتفاتي

الالتفات **(Attention)** من الاستراتيجيات الحجاجية ذات الملمح التقابلي، يكون بالالتفات من معنى إلى معنى آخر، ومن غرض إلى غرض، ومن جهة إلى جهة، ينتج عنه التنويع في العرض، والاستدراج في الذكر. وتجمع الصورة الالتفاتية بين طرفين متباعدي المآخذ والأغراض في السياق، فيتحول من أحدهما إلى الآخر انعطافًا لطيفًا من غير وساطة[٣٢]، يفهم من هذا الوصف أنَّ التقابل حاضر في الصورة الالتفاتية يضمُّ طرفين متفاوتين؛ للحصول على مجمل منهما. وعند بيرلمان **(Perelman)** وتيتيكا **(Teyteca)** ينضم الالتفات إلى ضوابط الحجاج، في نقطة تفاعل المتلقي مع التحول الزمني، والانتقال من حيّز إلى حيّز؛ ليكون الالتفات معللا حضور الفكرة التي لها قيمة حجاجية، فعن طريق الالتفات يجذب المرسل المتلقي ويجعله يدرك، ويتنبَّه[٣٣].

فيما يأتي يستعرض البحث أنموذجين؛ يكون التركيز فيهما على انتقاء الالتفات في آيات التقابل الحجاجي بين المعنى البارز، والمعنى المشار إليه؛ لتمثيل الغاية التي يريد الخطاب تحقيقها بمقتضى الانتقال من صيغة إلى أخرى "ينتج مخالفة ومفارقة بين هاتين الصيغتين"[٣٤]، كما في قوله (ﷻ): ﴿**مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا**﴾، (الآية ٨٥ من سورة النساء). ينشأ التقابل الحجاجي في الآية الكريمة بين تعميمين وردا في (نقطة الانطلاق/ التقابل المنطلق): (**مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً × وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً**)، وينتقل السياق من التعميمين (حجة الشرط) إلى عرض جوابهما الذي وقع فيه الالتفات المعجمي: (**يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا / يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا**)، وذلك حين جاءت نتيجة الحجة الموجبة بلفظ (نصيب)، ونتيجة الحجة السالبة جاءت بلفظ (كفل) لا بلفظ (نصيب) الوارد في التركيب الشرطي الموجب. ويعني الالتفات المعجمي العدول بين الألفاظ التي تتداخل دوائرها الدلالية بحيث تتقاربان وتشتركان في ظلال المعنى، ثم ينفرد كل منها ببعض الخصوصية التعبيرية بحسب المقام أو الطاقة الحجاجية التي لا يشاركه فيها لفظ سواه[٣٥]. ولوحظ في الآية الكريمة أنَّ كلا اللفظين (نصيب× كفل) يدلان على (الحظ)، إلَّا أنَّ ما ينماز به لفظ (الكفل) عن (النصيب) هو (المثلية)، أي: أنَّ (الكفل) جزء مماثل للجزاء، إمَّا انتفاع بالحسنات لا يضاعف، وإمَّا ضرر بحجم السيئات، فيكون

صاحبه متكفلا بجرائره. في حين (النصيب) قد يكون كثيرًا وقد يكون صغيرًا وفيه زيادة[٣٦]. وهكذا يبرّر الالتفات في الآية الكريمة المفارقة الحجاجية بين نتيجة الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة.

ومن شواهد التقابل الحجاجي؛ لبيان أثر الالتفات في تحقيق فاعلية الخطاب بين الأطراف المتقابلة على مستوى خطابين في سورتين متباينتين، قوله (ﷻ): ﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**﴾، (الآية ١٤ من سورة البقرة)، وقوله (ﷻ): ﴿**وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ٤٨ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ٤٩ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ٥٠ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾، (الآيات ٤٨- ٥١ من سورة النور). جاء الخطابان في سياق الحديث عن اعتقاد المنافقين وسلكوهم المتناقضة، إذ يقولون عكس ما في قلوبهم. في الخطاب الأول وحدة التقابل الحجاجي قائمة على التركيب الشرطي السالب بين (حجتين شرطيتين): (**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا× وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ**)، ونتيجتهما: (**قَالُوا آمَنَّا× قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ**). وفي الآية الكريمة عدول والتفات في مجال البناء النحوي عن التوكيد بوساطة الرابط (إنَّ) في الجملة الاسمية (**إِنَّا مَعَكُمْ**)، إلى الجملة الفعلية (**آمَنَّا**). وبموجب هذا التقابل يبرز أنَّ الالتفات عن (الجملة الاسمية المؤكدة)، إلى (جملة فعلية غير مؤكدة) حجم المفارقة الواضحة بين السلوكين المتناقضين للمنافقين، فالجملة المؤكدة تدلُّ على أنَّهم ثابتون على عقيدتهم، وقد تبع هذا الثبات والتوكيد بعامل القصر (**إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**)، أي: ادَّعينا الإيمان، ولكنْ في الحقيقة نحن باقون على ديننا، واستهزءنا بالمؤمنين[٣٧].

وفي الخطاب الثاني وحدة التقابل الحجاجي قائمة على تركيبين شرطيين متقابلين في سياق الحديث عن المنافقين والمؤمنين: (**وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ × إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ**)، و(**إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ٤٨ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ × أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا**). في تركيب الشرط (السالب) يبرّر السياق بوساطة الالتفات، المفارقة في جواب الشرط بين (**إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ**)، و(**يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ**)، أي: هؤلاء معرضون في حال إذا كان الحقُّ عليهم، ويأتوا إليه خاضعين إذا كان الحقُّ معهم، والإعراض مؤكَّد بالجملة الاسمية[٣٨]؛ لتوكيد ثباتهم. ثم ينصرف السياق بوساطة الاستفهام التوبيخي إلى تعميق سلبيات سلوك المنافقين، وقد تدرَّج التعبير القرآني في توبيخ أخلاقهم بموجب ثلاث درجات: الأولى: (**أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**)،أي: ضعف الإيمان ومرض القلب سبب في إعراضهم عن الحقِّ، والثانية: (**أَمِ ارْتَابُوا**)، أي: يشكُّون في الحقائق الإسلامية، والثالثة: (**أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ**)؛ لأنَّهم يحسبون أنَّ الله (ﷻ) ورسوله يظلمون. وبعد هذا التفصيل في بيان اعتقاد المنافقين المتذبذبة ينتقل السياق إلى الصورة المقابلة في التركيب الشرطي (الموجب): ﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا**

﴿إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. جاء في بدايته عامل القصر، ومن ثم جملة (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) عكس قول المنافقين الثابت: (إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ)؛ فالقصر أفاد الاختصاص، أي: هؤلاء هم المفلحون فقط ولا فلاح لسواهم، وعبَّر بالمضارع؛ لإفادة تجدُّد ذلك منهم واستمرارهم عليه[٣٩]، ولا بد من الإشارة إلى تقابل آخر جرى بين نتيجة التركيبين (التقابل الهدف): (بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ× وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

٢. التقابل الحجاجي التمثيلي

التمثيل **(Representation)** من استراتيجيات التصوير الإقناعي ذات الخلفية التقابلية "يقوم على تقريب غير المدركات بالمدركات"[٤٠]، تتجلَّى قوته الإقناعية في إنشاء علاقة جديدة من منطلق التشابه، أي: في التمثيل الهادف الذي يكون طرفاه متباعدين، ينتميان إلى مجالات متغايرة[٤١]، وتعلو قيمة التمثيل على مفهوم المشابهة؛ لارتباطه بتطابق العلاقة بين أطراف ما كان لها أن تكون متناسقة ومنسجمة[٤٢]. وبما أنَّ "التشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتُدركه العقول"[٤٣]، فإنَّه – القياس - متضمِّن لطاقة حجاجية إقناعية من وجهين، من صفته التمثيلية ووظيفته. وتظهر صفته التمثيلية بموجب إصابة الدلالة الجامعة التي تجمع بين المتماثلين في غاية الترتيب والتركيز من جهة، وإصابة الحجة في ذهن المتلقي بمقتضى الاتساق، والحكم الذي وقع من طرفي التمثيل وأدركه المتلقي من جهة ثانية. أمَّا وظيفة القياس فهي تكمن في طريقه للعلم بمضمون الأشياء بضرب من الاستدلال، واستنادًا إلى التشبيه والتمثيل[٤٤].

تتأسَّس بنية التقابل الحجاجي التمثيلي على عقد موازنة بين بنيتين وليس بين ملفوظين كالتقابل الحجاجي الاستعاري، إذ تتشابه عناصر كل بنية مع عناصر البنية المتقابلة[٤٥]، وعليه، فتعدُّ التمثيلات في الخطاب القرآني المبارك أداة ثبات وتدليل، ومن أنجع طرق الحجاج معقودة "للإقناع أساسًا وليس لغاية فنية محضة"[٤٦]. ومن أمثلة التقابل الحجاجي التمثيلي في الخطاب القرآني، قوله (ﷻ): ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ٩١ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، (الآيتان ٩١، ٩٢ من سورة النحل). افتتح الخطاب المبارك بتقابل حجاجي بالسلب والإيجاب في (التقابل المنطلق/ المقدمة الكبرى)، بين: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ× وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا)، تقابل بين الإيفاء بالعهد وإبطاله بالإخلاف عنه بعد توثيقها بتكرار الحلف أكثر من مرة. وبنيت وحدة التقابل الحجاجي في الآيتين الكريمتين على (التقابل التمثيلي/ التقابل الجسري الوسيط) وهو تقابل يمثِّل الحجة الأقوى والمساندة للحجتين في (نقطة الانطلاق) بين: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا × مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا)، تقابل تمثيلي يتضمَّن دليلين حجاجيين؛ لتوبيخ

الذين تناقضوا العهد وأفسدوه، الدليل الأول: (تعب امرأة على إبرام الغزل وإحكامه)، والدليل الثاني: (تعبها على نقض الغزل وجعله محلولا وأقطاعًا)، ويمكن استنباط تقابلات استتباعية من (التقابل الوسيط) كالآتي: الناكث للعهد ظالم لنفسه أولا، وضعيف العزم ثانيًا، وناقص الرأي ثالثًا، وناقص المروءة رابعًا، يترك ما جعل الله (ﷻ) عليه كفيلا[٤٧]. وينفي (التقابل المستهدف) الأسباب التي قد يتخذها الناكث مبررات في قوله (ﷻ): ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، أي: تجعلون أيمانكم حجة للاحتيال والمؤامرة، فتبطلون العهود، وتخلفون في الأيمان طلبًا؛ لرضى الأمة الأقوى، والله (ﷻ) يختبركم بالوفاء بالعهد والأيمان[٤٨].

يتبيَّن ممَّا تقدَّم: أنَّ النجاعة الحجاجية للتقابل التمثيلي تكمن في أنَّ المتلقي إذا لم يقتنع بالحجة المعروضة في (التقابل المنطلق) بين المأمور (الإيفاء بالعهد) والمحظور (إبطال العهد)، فلا يمكن أنْ يستنكر أنَّ المفهوم الحاصل (نقض الغزل بعد قوة أجزاء) هو الجهل، والضعف، والنقص.

ويمكن التمثيل بشاهدين آخرين يجمعان بين حدثين بموجب التقابل الحجاجي التمثيلي، الشاهد الأول قوله (ﷻ): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ٢٦ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، (الآيتان ٢٦، ٢٧ من سورة البقرة). والشاهد الثاني قوله (ﷻ): ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ٤١ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، (الآيتان ٤١، ٤٢ من سورة العنكبوت).

لو أجري التقابل بين الاستشهاد بـ (البعوضة والعنكبوت) في الخطابين؛ لاكتشفنا أنَّ التقابل التمثيلي "عملية فكرية، تقوم على تشبيه أمر بآخر في العلة التي كانت هي السبب في حدوث ظاهرة من ظواهره"[٤٩]. وانبنت وحدة التقابل الحجاجي في الخطابين على الانتقال الدلالي بين تقابلات في الدلالة الإيحائية لألفاظ وعبارات معيَّنة، إلى تقابلات في الدلالة الهامشية المستمدَّة "الجمع بين المتقابلين"[٥٠] من تآلف الصلات بين التقابلات وتماثلها. وملامح الدلالة الإيحائية تبرز في الخطابين بين: (بَعُوضَةً× فَمَا فَوْقَهَا)، و(آمَنُوا× كَفَرُوا)، و(فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ× فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا)، و(يُضِلُّ× وَيَهْدِي)، و(يَنْقُضُونَ× وَيَقْطَعُونَ)، و(مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ× مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) في الخطاب الأول، وبين: (اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ× الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا)، و(أَوْهَنَ الْبُيُوتِ× لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ) في الخطاب الثاني. أمَّا الدلالة الهامشية فقد جاءت في الجمع بين هذه المتقابلات من الألفاظ؛ للاستدلال بقضية الوهن[٥١]، وحمل الاستدلال بـ (البعوضة) على صغر حجمها دلالة هامشية؛ ليضرب الله (ﷻ) أوهام الكافرين في آلهتهم التي لا تقوى على خلق صغير أو كبير، والله (ﷻ) خالق (البعوضة والفيل)، والمعجزة في البعوضة هي نفسها المعجزة في

الفيل[٥٢]. ويمثِّل الاستدلال بـ (بيت العنكبوت) الدلالة الهامشية في تشبيه أمر عقلي وهو آلهة المشركين ومعبوداتهم المصطنعة والزائفة بقالب حسي هو نسيج العنكبوت الموصوف بالوهن والفتور. ومقتضى هذا التمثيل، فكما أنَّ بيت العنكبوت لا يحمي ولا ينفع، فكذلك عبادة الأوثان لا تنفع ولا تضر المشركين[٥٣].

٣. التقابل الحجاجي الاستعاري

لغة الاستعارة (**Metaphor**) لغة مشتركة بين الفكر المنطقي والفكر الذي يتجاوز الحقيقة إلى المجاز، فهي "مظهر سطحي للمجاز"[٥٤]، ولون من ألوان البلاغة الحجاجية رصده المسار الإقناعي وحقل الحجاج البرهاني، يوظِّف فيها المحاجُّ طاقات الكلام، وقابلية الخطاب تأثيرًا وفعلا في جمهور المتلقين؛ ليقتنع بصحة الجوهر، ومشروعية الجمع الخفي بين الأقوال. وتجدر الإشارة إلى أنَّ القول الاستعاري قول حجاجي، وحجاجيته تعدُّ من نسقية الحوار المتبادل[٥٥]. ويلتمس في الاستعارة الحجاجية تقابل خفي قائم على التوافق والتشابه، يقدِّم للمعنى الجديد بعد النقل المقصود استعمالا جديدًا، وترسيخًا للمعنى، وتقريبًا له[٥٦]. وتظهر فرادة التقابل الحجاجي للاستعارة في الخطاب القرآني بناء على سيرورتها الدلالية بين المعلن والكامن في الوحدات الحجاجية، وبين النسق الظاهر والباطن في القيم التصورية، وبين الشيء وضدِّه في البنى التقابلية، ولا ننسى أثرها في تثبيت الدلالات العميقة بموجب العلاقة التي تقيمها بين العقل والحس اللذين يشكلان حقل البلاغة[٥٧].

ويهمنا في أطروحة التقابل الحجاجي أنْ نستبين وجوه التقابل بين طرفي الاستعارة (المستعار منه) و(المستعار له). فاستراتيجية الاستعارة أبلغ وجوه تَقَيُّد اللغة بمقام الكلام، الذي يتكوَّن من المرسل والمتلقي، وعلاقاتهما التفاعلية المختلفة[٥٨]. ويتبع البحث ما قدَّمه (محمد بازي) في مقاربته التأويلية التقابلية مسلكًا متسقًا؛ لفهم الاستعارات، ينطلق من الأساس التقابلي للاستعارة بين التقابل بالقوة (الكامن)، والتقابل بالفعل (المنجَز)، ومن (التقابل المنطلق إلى التقابل الهدف)، ممَّا يبيّن الجسر الاستعاري الرابط الذي تمَّ بموجبه الانتقال من عنصر (أ) موضوعًا أولا (الأصل) إلى عنصر (ب) موضوعًا ثانيًا (الفرع)، ومن ثم تحديد التشابه والتطابق بين (المستعار منه) و(المستعار له)؛ حتى تظهر الدلالات الحسنة، والشحنات الانفعالية والنفسية؛ ذلك أنَّ الاستعارة من أقدر الضوابط على الإفصاح والإيعاز[٥٩]. ومن أمثلة التقابل الحجاجي الاستعاري، قوله (ﷻ): ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ١٦ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ١٧ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ**﴾، (الآيتان ١٦، ١٧ من سورة الأنبياء). فإذا أنعمنا النظر في سياق هذه الآية الكريمة، نلحظ التقابل بين لفظتين مستعارتين (نقذف للحق× والدمغ للباطل). وتتشكَّل وحدة التقابل الحجاجي في هذه الآية الكريمة من (حجة الانطلاق/ التعميم الكبرى) في قوله (♍): ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ١٦ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾، وهي حجة تحمل الإخبار بأنَّ الله (♍) خلق الكون للتدبير والعبرة، لا باطلا أو هباء، ويأتي الإضراب عن حجة (اللهو) إلى حجة الارتقاء، بموجب الرابط (بل): (**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ × فَيَدْمَغُهُ**

فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ)، واقترن (القذف) بالحق، و(الدمغ) بالباطل في صورة حسية واقعية، إذ استعيرت الإطلاق الشديد؛ لإيراد الحق على الباطل، واستعيرت الكسر والمحو؛ لاستئصال الباطل وتهديمه، فإذا به ذاهب تمامًا[٦٠]، وكأنَّ "الحق قذيفة في يد القدرة، تقذف به على الباطل، فيشقُّ دماغه"[٦١]. واستخلاصًا لما سبق جعل التقابل الاستعاري الفكر في حالة من عقد توازنات واقعية تصويرية؛ لإبراز الحق على الباطل.

وفيما يأتي يستعرض البحث أنموذجين؛ يكون التركيز فيهما على التقابل الحجاجي الاستعاري بين صورتين مستعارتين في تركيبين حجاجيين من عيّنات التقابل السلبي تخصُّ الكافرين والمشركين. الأنموذج الأول يمثِّله قوله (ﷺ): ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾، (الآية ١٧١ من سورة البقرة). والأنموذج الثاني يمثِّله قوله (ﷺ): ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾، (الآية ٥ من سورة الجمعة). تضمَّنت التقابلات الاستعارية مساحات للتعميق الدلالي والتصوري؛ حتى يتحرَّك فيهما ذهن المتلقي صوب جهتين متقابلتين[٦٢]، فتحيل على الفكر إبرام توازنات تخييلية بين لفظة (ينعق) استعيرت؛ لوصف الكافر الذي يصيح كالبهائم، لا يسمع من دعوة المؤمنين إلَّا ترديد الصوت، أي: صوت ندائهم، من غير بصيرة. ولفظة (الحمار) استعيرت؛ لوصف اليهود الذين كلِّفوا الأمانة والشريعة ثم لم يحملوها، فهؤلاء كمثل الحمار الذي يحمل الكتب الثقال، وليس له منها إلَّا عبئها[٦٣]. والصورتان المستعارتان تحملان معنى المتاهة والتصارع بمقتضى الجمع بين طرفين مؤتلفين. ومن الوشائج الراسخة التي يمكن إيجادها بين عناصر التقابل والاستعارة هي التقابلات المَثَلِيّة، أي: تقابلات المثال بين المنعقدين، وتكون هذه التقابلات نطاقًا من الحركات الاستعارية الذهنية التي يستعين بها المرسل في خطابه؛ لتقوية الحجاج[٦٤].

ويمكن توضيح الوشائج بين التقابل والاستعارة في الترسيمة الآتية:

المخطط رقم (٣) التقابل الاستعاري بين (الاستعارة بالقوة والاستعارة بالفعل)

٤. التقابل الحجاجي الكنائي: الكناية **(Metonymy)** صورة أخرى من صور البلاغة الجديدة، لم يعتبرها بيرلمان **(Perelman)** صورة أسلوبية فحسب، بل نظر إليها كحجة تخضع للتقويم التداولي[٦٥]. وتستوعب الكناية "البناء القاعدي الخفي للتقابل، انطلاقًا ممَّا هو مصرَّح به مقابل غير المصرَّح به"[٦٦]، وهي طريقة تقابلية حجاجية غير مباشرة، كما وصفها السكاكي (ت٦٢٦هـ) بأنَّها "ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه؛ لينتقل من المذكور إلى المتروك...، تتفاوت إلى تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء، وإشارة"[٦٧]، أي: هي تقابل قائم على الانتقال

من دلالة (اللازم) في المستوى السطحي إلى دلالة (المستلزم) في المستوى الباطني، مع جواز إرادة المعنى الحقيقي فحسب، وهذا ما يميّزها عن فن المجاز والتشبيه، اللذين لا يصح فيهما إرادة المعنى اللازم، بل يشترط فيهما الانتقال إلى التلميح والإشارات الخفيَّة[٦٨]. وتكمن أهمية الكناية في حقل التقابل الحجاجي، استيعابها، لنسقين من الأنساق المتقابلة، النسق الأول: نسق عقديٌّ يراد به الرسوخ في ذهن المتلقي، والثاني: نسق مفاهيمي تقرّه القيمة العقدية المنضوية في الخطاب؛ لتعديل السلوك بناء على تشاكله مع بنية الواقع[٦٩].

ومن أمثلة التقابل الحجاجي التماثلي في الخطاب القرآني قوله (♐): ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا٢٧ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا**﴾، (الآيتان ٢٧، ٢٨ من سورة الفرقان). انبنى هيكل التقابل الحجاجي في هذه الآية الكريمة على حجة سببية جاءت في (نقطة الانطلاق)، تحمل التقابل الكنائي بين المعنى الحقيقي اللازم (العض على اليدين)، والمعنى المستلزم (الغيظ والحسرة)[٧٠]، ويجد المتلقي في الانتقال من التصريح إلى التلويح، ما لا يجده في التصريح بالندم من دون هذا التصوير الحسي الملموس المتصل بالواقع. ويمثِّل الأثر الحجاجي في التقابل الكنائي كونه يقود إلى النتائج بصورة أبلغ، تكون أشد إقناعًا للمتلقي؛ لينتقل "من المذكور إلى المتروك"[٧١]. وانتقل التعبير القرآني إلى التذكير بنتيجة الحجة السببية، أي: سبب ندم الظالم: (**يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا× يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا**).

ونمثل بمثالين آخرين يجمعان بين عناصر متقابلة بموجب التناغم الكنائي، المثال الأول قوله (♎): ﴿**خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ٧ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ**﴾، (الآيتان ٧، ٨ من سورة القمر). والمثال الثاني قوله (♍): ﴿**يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ٤٣ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ**﴾، (الآيتان ٤٣، ٤٤ من سورة المعارج). لقد بنيت وحدة التقابل الحجاجي في الخطابين على (حجة المنطلق)، إذ جاء التعبير القرآني بوصفين صريحين: (**خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ × يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا**). ومن ثم ينتقل التعبير القرآني إلى تلميحين كنائيين عن سرعة السير: (**كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ٧ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ × كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ**)، في الخطاب الأول لفظة (الجراد) كناية عن سرعة انتشارهم في الآفاق، (**مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ**)، أي: يسرعون في السير نحو الداعي. وفي الخطاب الثاني لفظة (**يُوفِضُونَ**) جاءت؛ لتصوير سرعتهم، وكأنَّهم ذاهبون إلى أصنامهم، وفي هذا التلميح إشارة ضمنية إلى التهكُّم بهم، والتذكير بجهالتهم التي اعتقدوها، فهم يسرعون إلى ما لا يملك نفعًا ولا ضرا[٧٢]. ونلتمس من الآيات الكريمة السابقة الآثار النفسية المتفرعة إلى الحيرة والتهويل، والإرهاق في الخطاب الأول، والاستهزاء في الخطاب الثاني، إذ هم يسرعون من شدة الهول، ويسرعون بسخافة تفكيرهم من جهة ثانية.

٥. التقابل الحجاجي الإيجازي

ينبني الإيجاز **(Brevity)** على التقابل في المقام الذي يتطلب الخطاب التعيين بين المتقابلات، وحججًا مختزلة أقدر على الفعل والتاثير، بعيدة عن الإطالة[٧٣]؛ ذلك أنَّ الكم قلَّة وكثرة يؤدي أثرًا حجاجيًّا، إذ يثير الانتباه[٧٤]. وقد أشار الرماني (ت٣٨٦هـ) إلى أنَّ الإيجاز "تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، وإذا كان المعنى يمكن أنْ يعبر عنه بألفاظ كثيرة ... وبألفاظ قليلة، فالألفاظ القليلة إيجاز"[٧٥]، والمقصود بمفهومه هذا للإيجاز أنْ يحتوي الخطاب على ما تفجِّره الألفاظ من شحنات نفسية حجاجية تتكاتف؛ لإظهار المحتوى السلبي أو الإيجابي، ودلالات هامشية تتكالف؛ لبلورة هذا المحتوى، وهذا ما ستتناوله الدراسة؛ للتقابل بين "القليل الشامل؛ لأمور كثيرة"[٧٦].

ومن أمثلة التقابل الحجاجي الإيجازي الموازنة بين قولين عملا بالمبدأ الحجاجي الذي وُظف فيه القصر والاختزال. ومثال هذا التقابل الحجاجي في مقام إظهار شبهات الكفار قوله (♂): ﴿**أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾، (الآية ١٩ من سورة الرعد). وحدة التقابل الإيجازي في هذه الآية الكريمة قائمة على علاقة التضاد المعنوي بين (من يعلم× ومن هو أعمى)، أي: بين من يعلم الحقَّ ويصدِّقه، ومن يرى الحقائق ولا يصدِّقها؛ لأنَّه أعمى القلب والبصيرة، ونفى التعبير القرآني المساواة بين من يعلم الحق ويستسلم له، ويؤمن به، ومن يتنحَّى عن الحقِّ. ولم يأت التقابل في الاستفهام الإنكاري بين (من يعلم× ومن لا يعلم)، بل ذكر في الطرف الثاني من التقابل حجة قوية، تحمل شحنة دلالية سالبة؛ ليعرض تقبيح حال هؤلاء الذين لا يستجيبون للحق إنكارًا وامتناعًا[٧٧]. وتجدر الإشارة إلى أنَّ الحجاج في المقام الذي تقدم كان حجاجًا مختزلا بعيدًا عن الإطالة، اقتصر على انتقاء ما يناسب المقام، باختيار حجج أقدر على الفعل والتأثير[٧٨]، تتمثل في قوله (♂): ﴿**كَمَنْ هُوَ أَعْمَى**﴾، و﴿**إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾.

ونجد مثل هذا التقابل الحجاجي الموجز في خطابين متماثلين على مستوى سورتين متغايرتين بين حجتين تمثلان (حجة الشرط وجوابه) في قوله (♍): ﴿**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾، (الآية ١٧ من سورة الأنعام). وفي خطاب آخر مماثل له قال (♎): ﴿**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾، (الآية ١٠٧ من سورة يونس). يقوم التقابل الإيجازي في الخطابين على تقابل تضادي معنوي وتقاطعي بين الحجتين: (**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ× وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ**)، والجوابين: (**فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ× فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) في الخطاب الأول، وبين الحجتين: (**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ× وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ**)، والجوابين: (**فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ× فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**) في الخطاب الثاني. وشكَّلت حجة الشرط في الآيتين حجة موجزة للمفارقة البارزة بين ثنائية (الضر× والخير)، والاستدلال على أنَّه تعالى هو المتفرد بكشف الضر والبلاء، وجلب النفع والسرور، وهو النافع والضار[٧٩]،

وقد أُثبت هذا الاستدلال في نتيجة الحجتين المقتضبتين: (**فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ× فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**). ويمكن توضيح التقابل الحجاج الإيجازي في المخطط الآتي:

المخطط رقم (٤) التقابل الحجاجي الإيجازي

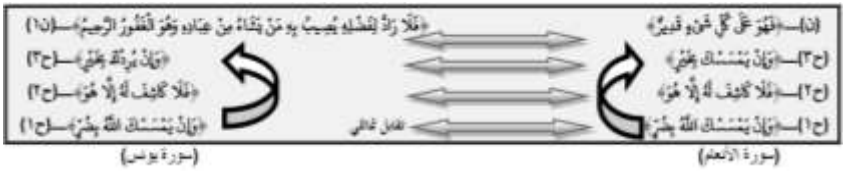

النتائج

في نهاية المطاف توصَّل البحث إلى النتائج الآتية:

يعدُّ التقابل (**Contrast**) استراتيجية جديدة، وآلية مبتكرة يمكن توظيفها في تحليل الخطاب القرآني المعجز، ذات الطبيعة الاستدلالية، بحثًا عن نظامه المتناسق، وآلياته التوجيهية، والإقناعية.

ُلحظ في التقاء هذين الملمحين (التقابل والحجاج) أنه بإمكاننا خلق جسور، وروابط بين منجزات البلاغة العربية القديمة، والبلاغة الغربية الجديدة في الخطاب القرآني. مع تعميق ما يتعلق بذكاءات المتلقي؛ ليجمع بين خصائص التقابلات، ووظيفتها الحجاجية في الوقت نفسه.

التقابل في قوة اللغة بين الإنجاز والحجاج في القرآن الكريم يقع بين (فعل الإنجاز، وفعل الإقناع)، فإذا حمل (فعل الإنجاز) شحنة سالبة أو موجبة، فإنَّ فعل الإقناع يحمل شحنة متضادة له، أو يجري التقابل في قوة اللغة بين كلمات تحمل شحنة إقناعية عاطفية، تكون ترهيبية أو ترغيبية، فتتحول الكلمة عندئذ إلى إشارة حجاجية.

التقابل في قوة الإقناع بين الانتقال والحجاج في الخطاب المبارك يتضمن الانتقال من الدلالة الإيحائية إلى الدلالة الهامشية، أو الانتقال بين التقابل بالقوة (الكامن)، والتقابل بالفعل (المنجَز)، أو الانتقال من (التقابل المنطلق إلى التقابل الهدف)، أو يتألف التقابل الحجاجي من حجة موجزة تحمل مفارقة بارزة بين ثنائتين متقابلتين.

يرتكز النسق التقابلي التمثيلي في الخطاب القرآني على عرض حجج من الواقع، وتقريب البعيد وتجاوز المعقول بوساطة تبديل دلالي مفعم بتشبيهات ساطعة، تستنتج منها تقابلات استتباعية من نقطة التشابه الافتراضي؛ لتأليب النفوس، والاستحواذ على العقول.

التقابل الحجاجي الاستعاري في الخطاب القرآني يقود الفكر إلى إجراء موازنة بين المنعقدات من طبيعة واحدة؛ حتى يحصل تناغم دالٌّ بين تشكيلين حجاجيين: في التشكيل الأول ذات معلنة تستدعي المطابقة بين المستعار له والمستعار منه، وفي التشكيل الثاني ذات مضمرة تقتضي الاستبدال، والإصلاح، والإثبات، والترسيخ.

. شكَّلت الكناية بين التقابلات في القرآن الكريم حجة انتقالية بين دلالة اللازم والمستلزم، بموجب التخلِّي عن المعنى الصريح وتأييد المعنى المضمر. وينبثق الأثر الحجاجي من التقابل الكنائي استنادًا إلى الإقناع المتأتي من الانتقال إلى التلويح، والتصوير الحسي الملموس المتصل بالواقع.

الهوامش

(١) (بازي، (٢٠١٥م)، ص١٨٢).

(٢) (سيرل، (د.ت)، ص١٧٢).

(٣) (النجار، (٢٠٢٢م)، ص٣٨)، و(صحرواي، (٢٠٠٥م)، ص٤١).

(٤) (بوجادي، (٢٠٠٩م)، ص٩٨)، و(علوي، (٢٠١١م)، ص٢٦٤).

(٥) (الخليفة، (٢٠٠٧م)، ص٣٢)، و(يول، (٢٠١٠م)، ص٩١)، و(علوي، (٢٠١١م)، ص٣١٣)، و(السيد، (٢٠١٩م)، ص٣٢).

(٦) (الصرف، (٢٠١٤م)، ص٢٦٧)، و(بوقرة، (٢٠١٢م)، ص٩١)، و(حمداوي، (٢٠٢١م)، ص٣٠٤)، و(حمداوي، (٢٠٢٢م)، ص٩٩).

(٧) (آل صوينيت، (٢٠١٠م)، ص١٢٦، و(الشهري، (٢٠١٣م)، ص٢٨٩).

(٨) (مرسي، (٢٠١٨م)، ص٢١٠).

(٩) (الزمخشري، (٢٠٠٦م)، ٤/ ص٤٩٢)، و(الجزائري، (٢٠٠٣م)، ٥/ ص٢٩٣).

(١٠) (مرسي، (٢٠١٨م)، ص٢٢٢).

(١١) (العيسي، (٢٠٢٢م)، ص١٤٣).

(١٢) (الشعراوي، (٢٠١٦م)، ص٢٢٦).

(١٣) (أبو زهرة، (د.ت)، ٧/ ص٣٥٦٤، ٣٥٦٥).

(١٤) (سيد قطب، (١٤١٢هـ)، ٤/ ص٢١٦٤).

(١٥) (العزاوي، (٢٠٠٦م)، ص١٢٧).

(١٦) (م.ن، (٢٠٠٦م)، ص١٣٣).

(١٧) (الفارسي، (٢٠٢٢م)، ص٢٦٣).

(١٨) (البستاني، (٢٠٠٢م)، ١/ ص١٢٧).

(١٩) (الغرافي، (٢٠١٥م)، ص٤٥٤، ٤٥٥).

(٢٠) (ابن عاشور، (١٩٨٤م)، ٩/ ص٣١٩).

(٢١) (سيد قطب، (١٤١٢هـ)، ١/ ص٤٤١، و(الخطيب، (د.ت)، ٢/ ص٥٤٠).

(٢٢) (حمداوي، (٢٠٢١م)، ص٣٤٤).

(٢٣) (أبو مصطفى، (٢٠١٨م)، ص٥٢).

(٢٤) (صولة، (٢٠٠٧م)، ص٧٤).

(٢٥) (أبو مصطفى، (٢٠١٨م)، ص٤٧).

(٢٦) (صولة، (٢٠٠٧م)، ص٦٨).

(٢٧) (سيد قطب، (١٤١٢هـ)، ٦/ ص٣٢٩١).

(٢٨) (المراغي، (١٩٤٦م)، ٢٦/ ص٥٩، و(السعدي، (٢٠٠٠م)، ص٧٨٦).

(٢٩) (سيد قطب، (١٤١٢هـ)، ٦/ ص٣٥٥٥).

(٣٠) (المراغي، (١٩٤٦م)، ٢٨/ ص١٠٨).

(بازي، (٢٠٢٠م)، ص١٦٣). [٣١]

[٣٢] (القرطاجني، (١٩٨٦م)، ص٣١٥).

[٣٣] (حبيب، (٢٠١٩م)، (بحث منشور): مج١، ع٣/ ص٢٥٦).

[٣٤] (لحرش، (٢٠٢٠م)، ٣/ ص٨٥).

[٣٥] (طبل، (٢٠١٦م)، ص١٥٩).

[٣٦] (الصادقي، (١٤٠٦هـ)، ٥/ ص٢١١، ٢١٢)، و(ينظر: القاسمي، (١٤١٨هـ)، ٦/ ص٤٤٩)، و(سيد قطب، (١٤١٢هـ)،: ٢/ ص٧٢٥).

[٣٧] (الزمخشري، (٢٠٠٦م)، ١/ ص٦٦)، و(ابن عاشور، (١٩٨٤م)، ١/ ص٢٩٢).

[٣٨] (أبو زهرة، (د.ت)، ١٠/ ص٥٢١٣).

[٣٩] (ابن عاشور، (١٩٨٤م)، ١٨/ ص٢٦٨).

[٤٠] (بازي، (٢٠١٥م)، ص١٨٦).

[٤١] (العنزي، (٢٠١٤م)، ص٢٥٢).

[٤٢] (صبحي، (٢٠١٥م)، ص١٧٧)، و(عشير، (٢٠٠٦م)، ص٩٧).

[٤٣] (الجرجاني، (١٩٩١م)، ص٢٠).

[٤٤] (الفارسي، (٢٠٢٢م)، ص ٢٦٤، و(ينظر: الزركشي، (٢٠٠٩م)، ٣/ ص٤١٤).

[٤٥] (صبحي، (٢٠١٥م)، ص١٧٧).

[٤٦] (صولة، (٢٠٠٧م)، ص٥٧٥).

[٤٧] (السعدي، (٢٠٠٠م)، ص٤٤٧، و(سيد قطب، (١٤١٢هـ)، ٤/ ص٢١٩١).

[٤٨] (ابن الخطيب، (١٩٦٤م)، ص٣٣١).

(حمداوي، (٢٠٢٢م)، ص٦٧). [٤٩]

[٥٠] (الصغير، (٢٠١٠م)، ص٢٥٨).

[٥١] (ابن الخطيب، (١٩٦٤م)، ص٣٣١).

[٥٢] (سيد قطب، (١٤١٢هـ)، ١/ ص٥٠).

[٥٣] (الصغير، (٢٠١٠م)، ص٢٧٥)، و(ينظر: ابن مصطفى، (د.ت)، ٧/ ص٤٠، ٤١)، و(الحجازي، (١٤١٣هـ)، ص٨٧٣).

[٥٤] (الولي، (٢٠٢٠م)، ص٩٩)، و(صبرة، (٢٠٢١م)، ص٣٠).

[٥٥] (عبدالرحمن، (١٩٩٨م)، ص٣١٠).

[٥٦] (بازي، (٢٠٢٣م)، ص٢١٩).

[٥٧] (الفارسي، (٢٠٢٢م)، ص٢٦٣)، و(مشبال، (٢٠١٨م)، ص٣٠٤).

[٥٨] (عبدالرحمن، (١٩٩٨م)، ص٣١٢).

[٥٩] (بازي، (٢٠١٧م)، ص٦٧).

[٦٠] (ابن مصطفى، (د.ت)، ٦/ ص٦٠).

[٦١] (سيد قطب، (١٤١٢هـ)، ٤/ ص٢٣٧٢).

[٦٢] (أنعم، (٢٠١٤م)، ص١٧٤).

[٦٣] (سيد قطب، (١٤١٢هـ)، ٦/ ص٣٥٦٧).

[٦٤] (بازي، (٢٠١٧م)، ص٦٩).

[٦٥] (بوتون، وجوتييه، (٢٠١١م)، ص٥٦)، و(ينظر: بليت، (١٩٩٩م)، ص٩٤).

(بازي، (٢٠٢٠م)، ص١٧٧). [٦٦]

[٦٧] (السكاكي، (١٩٨٧م)، ص٤٠٣).

[٦٨] (لهويمل، (٢٠١٤م)، ص٢١٥).

[٦٩] (الفارسي، (٢٠٢٢م)، ص٢٧٣).

[٧٠] (الزمخشري، (٢٠٠٦م)، ٣/ ص٢٧٦).

[٧١] (الفارسي، (٢٠٢٢م)، ص٢٧٣).

[٧٢] (المراغي، (١٩٤٦م)، ٢٧/ ص٨٠)، و(سيد قطب، (١٤١٢هـ)، ٦/ ص٣٤٢٩)، و(الهرري، (٢٠٠١م)، ٣٠/ ص٢٣٨).

[٧٣] (الدريدي، (٢٠٠٩م)، ص١٢٢).

[٧٤] (أبو مصطفى، (٢٠١٨م)، ص٥١).

[٧٥] (الرماني،.(د.ت)، ص٧٦).

[٧٦] (عيد، (د.ت)، ص٩٧).

[٧٧] (أبو زهرة، (د.ت)، ٨/ ص٣٩٢٨).

[٧٨] (الدريدي، (٢٠٠٩م)، ص١٢٢).

[٧٩] (الطبري، (٢٠٠٠م)، ١٠/ ص٢١٩)، و(السعدي، (٢٠٠٠م)، ص٤٥٢).

المصادروالمراجع بعد القرآن الكريم

أولا/ الكتب:

- آل صوينت، د. مؤيد، (١٤٣١هـ= ٢٠١٠م). الخطاب القرآني - دراسة في البعد التداولي، ط١، بيروت – لبنان، مكتبة الحضارات.
- ابن عاشور التونسي، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت١٣٩٣هـ)، (١٩٨٤م). التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، د.ط، تونس، الدار التونسية للنشر.
- ابن مصطفى، أبو السعود العمادي محمد بن محمد (ت٩٨٢هـ)، د.ت، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. د.ط. بيروت، دار إحياء التراث العربي للنشر.
- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، (ت١٣٩٤هـ)، د.ت. زهرة التفاسير، د.ط، القاهرة، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
- أبو مصطفى، د. أيمن، (١٤٣٩هـ= ٢٠١٨م). الحجاج ووسائله البلاغية في النثر العربي القديم - رسائل القاضي الفاضل أنموذجا، ط١، ، طنطا، دار النابغة للنشر والتوزيع.
- الأمين، أ. لعلاونة محمد، د.ت، مبادئ الدرس الحجاجي، د.ط، الجزائر، دار المجدد للطباعة والنشر والتوزيع.
- أنعم، د. منير عبده علي، (٢٠١٤م). الأسلوب وفاعلية السياق - دراسة في تجليات الصورة الاستعارية في القرآن الكريم، ط١، إربد - الأردن، عالم الكتب الحديث للنشر والتنوزيع.
- إيمرن، فرانز فان، غروتندورست، روب، (٢٠١٦م). نظرية نسقية في الحجاج – المقاربة الذريعية – الجدلية، ترجمة وتقديم: عبدالمجيد جحفة، ط١، بيروت - لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة للنشر.
- بازي، محمد، (١٤٣٦هـ= ٢٠١٥م). البنى التقابلية - خرائط جديدة لتحليل الخطاب، ط١، عمان – الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتنوزيع.
- بازي، محمد، (١٤٣٨هـ= ٢٠١٧م). البنى الاستعارية - نحو بلاغة موسَّعة، د.ط، أريانة – تونس، كلمة للنشر والتوزيع.
- بازي، محمد، (١٤٤١هـ= ٢٠٢٠م). نظرية التأويل التقابلي - مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب، ط٢، عمان - الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتنوزيع.

- بازي، محمد، (١٤٤٤هـ= ٢٠٢٣م). التأويليات الجديدة من مناط الحدود إلى بساط الوجود - أنموذج التناغم، ط١، عمان - الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتنوزيع.
- بروتون، فيليب، جوتييه، جيل، (١٤٣٢هـ= ٢٠١١م). تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: الدكتور محمد صالح ناحي الغامدي، ط١، الجدة، مركز النشر العلمي جامعة الملك عبد العزيز.
- البستاني، د. محمود، (١٤٢٢هـ= ٢٠٠٢م). التفسير البنائي للقرآن الكريم، ط١، إيران، مجمع البحوث الإسلامية.
- بليث، هنريش، (١٩٩٩م). البلاغة والأسلوبية – نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة وتقديم وتعليق: د. محمد العمري، د.ط، المغرب، إفريقيا الشرق للطباعة والنشر.
- بوجادي، د. خليفة، (٢٠٠٩م). في اللسانيات التداولية – مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ط١، الجزائر، بيت الحكمة للنشر والتوزيع.
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت٤٧٤هـ)، (١٩٩١م). أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، ط١، القاهرة، دار المدنى للطباعة والنشر والتوزيع.
- الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، (١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م). أيسر التفاسير للكلام العلي الكبير، ط٥، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، مكتبة العلوم والحكم للنشر والتوزيع.
- حبيب، د. بوسغادي، (٢٠١٩م). الحجاج البلاغي في نونية أبي البقاء الرّنْدي - دراسة نماذج، مجلة إحالات، العدد (٣)، المجلد (١).
- الحجازي، محمد محمود، (١٤١٣هـ). التفسير الواضح، ط١٠، بيروت – لبنان، دار الجيل الجديد للنشر والتوزيع.
- حمداوي، جميل، (٢٠٢١م). أنواع الحجاج ومقوماته - من حجاج أرسطو إلى حجاج البلاغة الجديدة، ط١، إربد - الأردن، دار ركاز للنشر والتوزيع.
- حمداوي، جميل، (٢٠٢٢م). شاييم بيرلمان - رائد البلاغة الجديدة، ط١، إربد - الأردن، دار ركاز للنشر والتوزيع.
- حمداوي، جميل، (٢٠٢٢م). المواضع الحجاجية بين النظرية والتطبيق - نحو مقاربة طوبيقية، د.ط، إربد - الأردن، دار ركاز للنشر والتوزيع.
- الخطيب، عبد الكريم يونس (ت١٣٩٠هـ)، د.ت. التفسير القرآني للقرآن، القاهرة، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
- الخليفة، هشام إ. عبد الله، (٢٠٠٧م). نظرية الفعل الكلامي - بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، ط١، بيروت – لبنان، مكتبة لبنان ناشرون.
- الدريدي، د. سامية، (١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م). دراسات في الحجاج - قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، ط١، إربد – الأردن، عالم الكتب الحديث للنشر والتنوزيع.
- رجوان، مصطفى، (١٤٤٢هـ= ٢٠٢١م). الكائن البلاغي – اللغة والعقل والاستطاعة في كتاب (البيان والتبيين)، ط١، عمان - الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتنوزيع.
- الرماني، والخطابي، والجرجاني، د.ت. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، د. محمد زغلول سلام، ط٣، مصر، دار المعارف للطباعة والنشر.
- الزركشي، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله، (٢٠٠٩م)، البرهان في علوم القرآن، ط٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع.
- الزمخشري، محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)، (١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، وبذيله (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال) لابن المنير الإسكندري (ت٦٨٣هـ) و(الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف) لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، ضبط وتوثيق: أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي، ط١، بيروت - لبنان، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت١٣٧٦هـ)، (١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م). تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة ناشرون.

- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (٦٢٦هـ)، (١٩٨٧م). مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع.
- السيد، أ. د. صبري إبراهيم، (١٤٤٠هـ= ٢٠١٩م). التداولية مقاصد وآداب، ط١، القاهرة، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع.
- سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي (ت١٣٨٥هـ)، (١٤١٢هـ)، في ظلال القرآن، ط١٧، بيروت - القاهرة، دار الشروق للنشر والتوزيع.
- سيرل، جون. د.ت. العقل واللّغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة: صلاح إسماعيل، د.ط، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الشعراوي، د. عبد الجليل، (٢٠١٦م). آليات الحجاج القرآني - دراسة في نصوص الترغيب والترهيب، ط١، إربد – الأردن، عالم الكتب الحديث للنشر والتنوزيع.
- الشهري، د. عبد الهادي بن ظافر، (٢٠١٣م). الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية - مقاربة تداولية، ط١، بيروت – لبنان، مؤسسة الانتشار العربي للنشر والتوزيع.
- الصادقي، د. محمد، (١٤٠٦هـ). الفرقان في تفسير القرآن، ط٢، بيروت - لبنان، دار التراث الإسلامي.
- صبحي، د. أميمة، (١٤٣٦هـ= ٢٠١٥م). حجاجية الخطاب - في إبداعات التوحيدي، ط١، عمان – الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتنوزيع.
- صبرة، د. أحمد، (٢٠٢١م). الكون الاستعاري العجيب - مقاربة جديدة لاستعارات أبي تمام، ط١، بيروت – لبنان، مؤسسة الانتشار العربي للنشر والتوزيع.
- صحراوي، د. مسعود، (٢٠٠٥م). التداولية عند العلماء العرب – دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، ط١، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر.
- الصرف، د. علي محمد حجي، (٢٠١٤م). في البراجماتية - الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، ط٢، القاهرة، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع.
- الصغير، د. محمد حسين علي، (١٤٣١هـ= ٢٠١٠م). الصورة الفنية في المثل القرآني – دراسة نقدية وبلاغية، ط١، تونس - بيروت، الدار المتوسطية للنشر.
- صولة، د. عبد الله، (٢٠٠٧م). الحجاج في القرآن - من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط٢، بيروت - لبنان، دار الفارابي للنشر.
- صولة، د. عبد الله، (٢٠١١م). في نظرية الحجاج - دراسات وتطبيقات، ط١، تونس، مسكيلياني للنشر والتوزيع.
- طاهر، أنوار، (٢٠١٩م). فلسفة الحجاج البلاغي – نصوص مترجمة لشاييم بيرلمان، مراجعة وتقديم: الدكتور أبو بكر العزاوي، ط١، إربد - الأردن، عالم الكتب الحديث للنشر والتنوزيع.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت٣١٠هـ)، (١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م). جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة ناشرون.
- طبل، د. حسن، (١٤٣٧هـ= ٢٠١٦م). أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د.ط، عمان – الأردن، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
- عباس، د. ثناء، سباك، د. كلود (١٤٤٢هـ= ٢٠٢١م). الحجاج والمجتمع - من أجل حوار بناء وخطاب بلا عنف، ط١، عمان – الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتنوزيع.
- عبدالرحمن، د. طه، (١٩٩٨م). اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط١، دار البيضاء – المغرب، المركز الثقافي العربي للنشر.
- عبد اللطيف بن الخطيب، محمد محمد، (ت١٤٠٢هـ)، (١٣٨٣هـ= ١٩٦٤م). أوضح التفاسير، ط٦، القاهرة، المطبعة المصرية.
- العزاوي، د. أبو بكر، (٢٠٠٦م). اللغة والحجاج، ط١، الدار البيضاء - المغرب، دار العمدة في الطبع.
- عشير، د. عبد السلام، (٢٠٠٦م). عندما نتواصل نغير – مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، د.ط، المغرب، إفريقيا الشرق للطباعة والنشر.
- علوي، د. حافظ إسماعيلي، (١٤٣٢هـ= ٢٠١١م). التداوليات – علم استعمال اللغة، ط١، إربد – الأردن، عالم الكتب الحديث للنشر والتنوزيع.

- العمري، د. محمد، (٢٠١٢م). البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ط٢، الدار البيضاء - المغرب، إفريقيا الشرق للطباعة والنشر.
- العنزي، قالط بن حجي، (٢٠١٤م). التداولية في التفكير البلاغي - دراسة في (غرر البلاغة) لهلال بن المحسن الصابئ (ت٤٤٨هـ)، ط١، إربد – الأردن، عالم الكتب الحديث للنشر والتنوزيع.
- عيد، د. رجاء، د.ت، فلسفة البلاغة – بين التقنية والتطور، ط٢، الإسكندرية، منشأة المعارف للنشر.
- العيسي، فاطمة بنت محمد، (١٤٤٣هـ= ٢٠٢٢م). الأفعال الكلامية في موضوع المرأة لدى شعراء النقائض- دراسة تداولية في تماذج مختارة، عمان – الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتنوزيع.
- الغرافي، د. مصطفى، (١٤٣٦هـ= ٢٠١٥م). البلاغة والإيديولوجيا - دراسة في أنواع الخطاب النثري عند ابن قتيبة، ط١، عمان - الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتنوزيع.
- الفارسي، د. لطيفة محمد، (١٤٤٣هـ= ٢٠٢٢م). بنية النص وتداخل أساليب الخطاب - في الحديث النبوي الشريف، ط١، عمان – الأردن. دار كنوز المعرفة للنشر والتنوزيع.
- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت١٣٣٢هـ)، (١٤١٨هـ). محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع.
- القرطاجني، أبو الحسن حازم (ت٦٨٤هـ)، (١٩٨٦م). منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط٣، بيروت، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع.
- لحرش، د. عبد الكبير، (٢٠٢٠م). سلسلة بلاغة المفارقة في القرآن الكريم - دراسة تداولية حجاجية، ط١، إربد – الأردن، عالم الكتب الحديث للنشر والتنوزيع.
- لهويمل، أ. باديس، (٢٠١٤م). المظاهر التداولية – في مفتاح العلوم للسكاكي (ت٦٢٦هـ)، ط١، إربد – الأردن، عالم الكتب الحديث للنشر والتنوزيع.
- المراغي، أحمد بن مصطفى (ت١٣٧١هـ)، (١٣٦٥هـ= ١٩٤٦م). تفسير المراغي، ط١، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- مرسي، د. ثروت، (١٤٣٩هـ= ٢٠١٨م). في التداوليات الاستدلالية - قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية، ط١، عمان - الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتنوزيع.
- مرسي، د. ثروت، (١٤٤٣هـ= ٢٠٢٢م). في نظرية الأفعال التداولية - مداخل تأسيسية، ط١، عمان - الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتنوزيع.
- مشبال، محمد، (١٤٣٩هـ= ٢٠١٨م). في بلاغة الحجاج - نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، ط١، إربد – الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتنوزيع.
- النجار، أ. د. أشواق محمد إسماعيل، (١٤٤٤هـ= ٢٠٢٢م). تداوليات الإدراك والتواصل، ط١، عمان - الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتنوزيع.
- الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي، (١٤٢١هـ= ٢٠٠١م). حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: مهدي، د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي، ط١، بيروت - لبنان، دار طوق النجاة للطباعة والنشر والتوزيع.
- الولي، محمد، (١٤٤٤هـ= ٢٠٢٠م). فضاءات الاستعارات وتشكلاتها - في الشعر والخطابة، والعلم والفلسفة، والتاريخ والسياسة، تقديم: د. محمد العمري، ط١، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، دار فالية للطباعة والنشر والتوزيع.
- يول، جورج، (١٤٣١هـ= ٢٠١٠م). التداولية، ترجمة: د. قصي العتابي، ط١، بيروت – لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون.